حسام خضر:
"الاعتقال والمعتقلون بين الصمود والاعتراف"

ناقشت الندوة كتاب النائب الأسير حسام خضر "الاعتقال والمعتقلون بين الصمود والاعتراف) الصادر في شباط (2005) عن منشورات الحرية في نابلس، ووقع الكتيّب، الذي كتبه مؤلفه أثناء اعتقاله في سجن "هداريم" العام (2005)، في (40) صفحة من الحجم المتوسط.

جميل السلحوت:

حسام خضر مناضل وقائد وطني بارز غني عن التعريف، اعتقل أكثر من عشرين مرة، وأمضى سنوات في سجون الاحتلال، وكتابه هذا

جاء في فترة اعتقاله في العام 2003 وهو عضو منتخب في المجلس التشريعي الفلسطيني، على خلفية نشاطاته في انتفاضة الأقصى التي انطلقت في أواخر أيلول العام 2000، بعد اقتحام أرئيل شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق، المسجد الأقصى.

والكتابة عن الاعتقالات والسجون الإسرائيلية ليست جديدة في التاريخ الفلسطيني، فقد سبق وأن كتب عنها كثيرون، غير أن حسام خضر في كتابته هذه لم يكرر الآخرين، بل تناول جانبًا فلسفه بوعيه وإدراكه كشخصية قيادية، وأخضعه للدراسة والتحليل واستخلاص النتائج والعبر، وأعطى فيه دروسًا من موقع الخبير المجرب، فقد خبر الاعتقال والتحقيق والصمود والعذاب والقهر. إنه يتناول قضية الاعتراف والصمود أثناء التحقيق؛ يشخص الحالة ويقف عند أسبابها، ويقارن بين الاعتراف والصمود في وجه الجلاد، ويقارن بين النصر والهزيمة، وبين الإرادة القوية والإرادة الضعيفة المسلوبة، وبين نشوة النجاح وخيبة الفشل. يأتي كل ذلك في ظروف غاية في الصعوبة يعيشها المعتقل، وسط تعذيب جسدي ونفسي، وتهديدات لا تنقطع. وزمن العذاب الذي يتعرض له المعتقل طويل جدًّا، "فإن الثانية تتسع لدرجة أنت تسير فيها وتبحر بها، وتتقلى في نار جحيم زيتها رجعًا متواصلاً

ينبض بالألم العميق... كل دقيقة هنا هي عمر الآن... وكل دقيقة تجربة." (ص9).

وهذا عبارة عن الألم والمعاناة "فلا تشعر إلا بأن كل شيء ضدك.. المكان بجموده والزمان ببطئه، والشخوص بأحقادهم النازفة" (ص10)، حتى النوم ممنوع على المعتقلين في التحقيق "ومن أقرب لحظة انسجام مع النعاس، يطاردك المحقق بضربات أو صرخات أو حركات أو ركلات تطير النوم، وتراجع النعاس ليكمن لك من جديد على عتبات صحوك" (ص11).

ولا يتبقى أمام الأسير إلا العناد والصبر والصمود، لأن العناد هناك "واحدة من أهم دعامات الانتصار." (ص12). والعناد هنا هو الإرادة القوية التي تلد النصر، "والنصر حليف الإرادة المجبولة بالإيمان والقوة على الاحتمال.. والاحتمال ميزة يتصف بها المؤمنون بقضاياهم أيًّا كانت" (ص13).

ويأخذ حسام خضر على التنظيمات الفلسطينية عدم الاستفادة من التجارب النضالية لشعبنا، ويشير إلى ظاهرتين برزتا في انتفاضة الأقصى هما: "الأولى: انعدام قيمة الصمود وتراجعه في التحقيق... وثانيهما: الاعتراف اليومي فيما يعرف بغرف العار ممن تساقط على هامش الصراع مع الأعداء، ومن رضي أن يعمل ذليلاً في مهنة الخيانة" (ص14).

ويرى حسام خضر أن هاتين الظاهرتين "تشيران إلى تراجع في الوعي والمسؤولية والالتزام، كما تدلان على أننا دون شك شعب لا يتعلم من أخطائه، ولا يستفيد من تجاربه، ولا يراكم حصيلة دروسه التي مارسها عبر سنوات كفاحه ونضاله" (ص14).

كما أنه ينتقد بشدة سكوت المؤسسة الرسمية الممثلة بوسائل الإعلام، والأسرى والمعتقلين، والمؤسسات الحقوقية لعدم فضحهم ظاهرة المتساقطين أمنيًّا، والتحذير منها.

ويرى أن "الصمود هو الشكل الأرقى للبطولة" (ص16)، وليس الاعتراف وما يتبعه من أحكام المؤبد.

ثقافة أوسلو

يرى حسام خضر أن عدم صمود المعتقلين في التحقيق هو نتاج لثقافة أوسلو "التي هدمت هياكلنا الشامخة.. وركعت منظومة القيم السامية التي كنا نعتز بها ونفتخر.. وباختصار أفسدتنا وأفقرتنا ماديًّا واجتماعيًّا" (ص17). ويتساءل: "ما الذي يدفع هذا الثائر المتمرد العنيد للاعتراف وللانكسار عند لحظة ما؟" (ص18)، ويجيب: "ثقافة أوسلو وحالة اللامبالاة، وغياب التراكم الذي اعترى تجربة العمل الثوري الفلسطيني" (ص18).

الاعتراف

يعرّف حسام خضر الاعتراف أمام المحقق بأنه "انهيار وانكسار غير مبرر" (ص30)، ويرفض وصفه بالخيانة.

ما العمل؟

وللخروج من ثقافة الهزيمة، فإن حسام خضر يرى عدة أمور منها:

- تفعيل المؤسسة الرسمية من خلال تطهيرها من رموز الخيانة والولاء للأعداء، وعناصر الفساد والإفساد والنهب والإثراء (ص31).

- إعادة صياغة الرسالة التربوية التعبوية خلقيًّا ووطنيًّا للمؤسسة التعليمية. (ص31).

- الولاء للوطن وللشعب وليس للقادة كائنًا من كانوا. (ص37).

- الولاء لتنظيم ما لا يعني نفي الآخرين وتجريدهم من حقهم في الوجود. (ص37).

- سيادة القانون واستقلالية القضاء، وتفعيل الرقابة التشريعية. (ص36).

- حرية النقد والنقد الذاتي.

الأسلوب

استعمل الكاتب أسلوب القص الروائي في الصفحات الثلاثين الأولى، ما يؤكد قدرته على كتابة القصة والرواية، مع أنه لم يكتبها حسب

علمي، لكن قصّه وروايته هنا واقعية حتى النخاع، لا خيال فيها لأنها لا تحتمل الخيال، وبدا عنصر التشويق واضحًا على الرغم من المرارة والألم في المضمون.

وفي النهاية، لا يسعنا إلا أن نحييّ الكاتب الذي يؤكد من جديد أنه قائد يستحق القيادة، وأن شعبنا يدرك ذلك من خلال انتخابه له عضوًا في المجلس التشريعي الفلسطيني الأول، وأن محاولات تهميش دوره القيادي لن يكتب لها النجاح.

إبراهيم جوهر:

حسام خضر بين الرسالة التربوية- السياسية والنصّ الإبداعي

لم يشأ الأسير حسام خضر أن يقدّم لقرائه نصًّا إبداعيًّا بقدر ما انشغل بتقديم رسالة تثقيف وتنوير وتصليب سياسية كفاحية، بهدف العودة إلى الزمن الجميل الذي رهّلته ثقافة أوسلو الفلسطينية كما يسمّيها، وإفرازاتها السلبية وأخواتها التبهيتية.

جاءت رسالة الأسير الأديب حسام خضر محمولة بلغة أدبية قوية ذات وقع خاص، يلمس القارئ فيها حرارة الصدق والمعاناة والغيرة والانتقاد، وعمق التجربة وأصالة التوجيه. إنها لغة فيها تكثيف وتصوير وإيحاءات، وفيها تركيز وإيجاز عامر بالدلالات، وكأنه يكتب قصيدة،

وهي قصيدة طويلة، بمعنى الشعور والكشف والتعبير والآفاق والتغني بالجمال، جمال الصمود وجمال الوطن، وجمال الشعور بالكرامة، والتحلّي بالوعي وحب التضحية والاقتناع بالعمل والانتماء...

إنها قصيدة بالمعنى المجازي، جاءت بلغة أدبية صادقة قريبة من النفس ملامسة لها. لغة حيّة تؤشّر إلى ثقافة كاتبها الأدبية والاجتماعية والنفسية والسياسية، الذي مزج الأدب بالسياسة بالوعي، في معادلة مؤثرة، وفرت عنصري التأثير والإقناع للقارئ، وفتحت أمامه آفاق البحث والتساؤل، ومن شأنها أن تدفعه للتفكير.

كانت اللغة إطارًا لمضمون متفجّر حارّ، وصار المضمون لغة في إطار باحث عن أصالة حركة الكفاح ونقائها وديمومتها.

لقد وفر التأثير لرسالة الكاتب الأسير صدقه في التحليل والتوجيه والتشخيص والمقارنة، والموضوعية البعيدة عن التغنّي بالذات، ورفع الشعارات، بل إن الكاتب صاغ رسالته بأسلوب أدبي- علمي، إذ جمع بين خصائص الأسلوبين، ووفّق بينهما لطبيعة المضمون الذي يتطلّب هذا الجمع. فهو إذ يقارن واقع الحركة الأسيرة ما قبل أوسلو وما بعدها، ينتقد الإهمال في المتابعة والبناء المتراكم من خبرات الأسرى وتجاربهم. وحين يكتب عن الصمود والعزة، يستعمل اللغة الأدبية التي تعينه على

التوصيل والتشخيص. وحين يشخّص يستشهد بالإحصاءات وأساليب البحث العلمي، دون فصل بيّن بين الأسلوبين المندغمين معًا.

لقد فجّر الكاتب اللغة لأنه ينقل حالة متفجّرة، نارًا تواصل تعذيب الشبان وهم متروكون وحدهم، وضياعًا وابتعادًا عن مرحلة المدّ الثوري الذي شهده وطننا المحتل قبل(ثقافة أوسلو).

يقول في نهاية رسالته: "لا بدّ من بصيرة نيّرة تري الأعمى طريق الحق والحقيقة، ولا بدّ من هزّة تزيل صدأ الأيام العالق على جدران أنفسنا... فما أجملنا! وما أروعنا! وما أعظمنا عندما نجعل الوطن كلمة السر والبدء والخاتمة!" (ص40). إنها الرسالة / الهزّة إذًا، ولا بدّ للهزّة من فعل يضمن هدفها، التوعية، والتغيير من حال إلى حال، والصحو أخيرًا.

في كتيّبه "الاعتقال والمعتقلون بين الاعتراف والصمود" يقدّم النائب الأسير حسام خضر زادًا فكريًّا وتربويًّا ووطنيًّا للإنسان الذي قد يقع في قبضة شباك المحتل. ويقارن الكاتب بين مرحلتي العمل الوطني ما قبل أوسلو وما بعدها، وهو يحمّل(ثقافة أوسلو) وزر الجهل بأساليب نزع الاعتراف في غرف المتساقطين (العصافير)، حيث غابت قيم الصمود والإيثار، وتصدّرت قيم الارتجال والتفاخر، واستهانة الإقدام على فعل الاعتراف أمام المحقق الذي يحيك شباكه ليوقع الضحية فيها، إذ يقدّم المعتقل المعلومات المطلوبة (وزيادة) جهلاً، أو استخفافًا، وسوء تقدير.

ينحاز الكاتب إلى جانب ثقافة الصمود، ويدعو إلى عدم الاعتراف وتمكين المحتل من رقاب المقاومين، ويدعو إلى التربية والتوعية بالأساليب النفسية التي تستخدم في عملية التحقيق وانتزاع المعلومات... ليضمن النهاية التي يريدها كل ثائر طالب حرية وطنه، وهو يجعل الوطن كلمة السر والبدء والخاتمة (ص40).

وينتقد الكاتب الفرقة والتشرذم والارتجال والأنانية والجمود وعدم الإخلاص والتخطيط الواعي المنتمي، كما ينتقد المعارك الجانبية التي أوقعت خسائر أضعاف ما أوقعته المعارك مع المحتل.

لغة الكاتب في هذا الكتيّب أدبية حانية، وإن بدا الغضب وبرزت الحدّة فيها، فقد حافظت على معانيها الثورية، ونقلت أجواء الاعتقال، وسياسة التحقيق، وعملت على تصليب الإرادة، كما أثبتت أن بالإمكان التعبير عن القضايا الكبرى باللغة الأدبية، وأن لغة الأدب قادرة على التعبير عن الهمّ السياسي الكفاحي، لا بل إنها الأقدر على الوصول إلى القلوب والعقول في آن معًا. إنها لغة ثورية جديدة حملت سمات الأصالة والصدق وموضوعية التشخيص، واستثارت إعجاب القارئ وأقنعته.

وإذا كان الكاتب يبثّ رسالته التوعوية للجيل الناشئ، فإنه ينتقد المنتفعين القانعين بالوظيفة المنتمين لها بعيدًا عن معنى الانتماء الحقيقي، الذين أبدلوا انتماءهم وأولوياتهم.

لقد قدّم الكاتب عملاً أدبيًّا حمل بعض سمات القصة الفنية، والمقالة، والخاطرة، والمحاضرة، والحوار الفكري الثقافي. إنه نصّ مفتوح على الحياة وعلى المستقبل.

حسام خضر في هذه الرسالة يقدّم مادة للنقاش في حلقات التوعية والدرس الكفاحي، ويدعو إلى بناء روح جديدة تقف على أرض صلبة ذات امتداد تاريخي لزمن أصيل نقي، قبل أن يتلوّث بثقافة أوسلو الانتهازية وإنسانها الجديد.

يبرز النائب الكاتب حسام خضر هنا كاتبًا ذا لغة تعبيرية راقية، ومضمون غزير صادق، وذا فكر واضح المعالم والانتماء، ويتجلّى في رسالته هذه مفكّرًا ذا تشخيص دقيق ووعي واضح.

إنه يدعو إلى توعية النشء بثقافة الصمود والثبات والمقاومة، وينتقد ثقافة الاستسلام والاستزلام، ويعلي من شأن الذات المقاومة، ذاتًا فردية، وذاتًا جمعية.

يفصل بين يومنا ويوم صدور هذه الرسالة- الكتيّب- خمس سنوات عجاف، جرى فيهن ماء كثير في النهر، وسقط العديد من الشهداء والبيوت والجرحى، وازداد عدد المعتقلين و... ظل جرس حسام خضر غير مسموع وهو يقرع، لأن الآذان المعنية لا تسمع سوى صدى أنفسها وامتيازاتها الذاتية.

هذا الكتيّب يستحق القراءة والنقاش والمداولة والتعميم والاستفادة، وهذا الكاتب يستحق الاحترام والتحية والإعجاب، وهو الذي يقول مبرقًا- مرعدًا: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت خطيئة.

محمد موسى سويلم:

كتب حسام خضر حول الاعتقال والمعتقلين بين الاعتراف والصمود في الإثنية الأيديولوجية السيكولوجية السسيولوجية البشرية، وعن كوامن النفس الإنسانية من قوة الإرادة والشكيمة والعزيمة، وما تفضي إليه العواقب والنتائج جراء الصمود أو عدمه (السقوط أو الثبات والتضحية والفداء) وكيف أن الأسر والاعتقال هو الامتحان الأصعب، وأن السجان يستخدم أعقد رموز اللغة غير المتعارف عليها من (حقد.. قتل بطيء.. قمع.. قهر.. استبداد.. سلب.. عذاب.. قبر للنفس.. سهر متواصل وحرمان من النوم..ألم.. إلى آخرة) من مفردات تستخدم في إذلال الأسير لرسوبه في ما يسمى امتحان التحقيق، ومدى صمود الأسير في ظل هذه الظروف، في المقابل هل يستعد المناضل (الأسير) لكل هذه المناهج بـ(العزيمة.. الصبر.. الإيمان.. الإرادة .. الأمل.. القوة.. حب الانتصار.. إلى آخره)؟

كتب عن النفس البشرية مكنوناتها، وعن تجارب المنتصرين والمؤمنين بعدالة قضيتهم. كتب عن فنون التعذيب، وفنون الألم، وفنون استغلال العلم في القدرة على التحمل، ومجاراة النفس وامتهانها في لحظات الضعف، وإحباط محاولات كسر القوة والإرادة. لقد كتب عن ظاهرتين في حياة الأسْر:

الأولى: انعدام قيمة الصمود.

الثانية: الاعتراف اليومي (ص14).

وقد رد ذلك إلى تراجع الوعي والمسؤولية والالتزام، وأيضًا إلى أننا شعب لا يتعلم من الأخطاء، ولا يستفيد من تجارب الآخرين ولا حتى من تجاربه الخ (ص14). طالب حسام خضر بأن تكون هناك دراسات موضوعية تعتمد على مكونات الصمود ومقومات النصر، وسبر أغوار وطبيعة الذات الإنسانية، وقدرات النفس البشرية (ص18). ذكر حسام خضر أمثلة من القرآن الكريم، مثل جبّ يوسف- عليه السلام- وقسوة إخوته وضحكاتهم، وأصحاب الأخدود، والأنبياء والرسل، والصحابة، وشهوة هابيل.

تحدث عن الصمود ومرتبته بين جلاديه واحترامهم له، وبين أهلة وناسه وشعبه، وعن المتعة المؤقتة والخزي الدائم والاستهزاء والاستهتار، والنعيم الكاذب، وقلة الاحترام حتى من عدوك.

يتساءل حسام خضر: هل الاعتراف خيانة؟

اعتبر حسام خضر الاعتراف بأنه إفراز لثقافة أوسلو، أو أوهام أوسلو، واستعانة الاحتلال بجيش من الخونة والعملاء الذين ساهم الأفاعي والعقارب، وعصر انحطاط أوسلو وإفرازاته، واستنتج أخيرًا بأن الاعتراف ليس خيانة، وأنه بوضوح وتحديدٍ هزيمة وانكسار غير مبرر (ص26 . 27. 28. 29). يا حسام قل المثل: "قيس قبل ما تغيص". "يا نازل البير احسب لطلوع". "تكون أو لا تكون".

حمل حسام خضر على اتفاق أوسلو، واعتبره ثقافة منهارة، وإفسادًا للشعب. طالب بإعداد ثوار مسلحين بالوعي.. الخ (ص30).

في الأربعين صفحة التي كتبها حسام خضر لم يتطرق إلى حالة تعذيب واحدة، رغم أنها تحدثت بصدق عن النفس البشرية، وعن قيم ومبادئ وأسس معيشة في حياة الأسر، ومع ذلك دق حسام خضر ناقوس الخطر في آذان كل الأحرار، وكل من استرق السمع وهو شهيد في هذا الشعب.

طالب بإيجاد وبناء للمجتمع بكل شرائحه، وأن توضع التربية ومناهجها ومؤسساتها في خدمة الإنسان، وأن تكون جامعاتنا على مستوى المسؤولية في إيجاد جيل مؤمن بعدالة القضية، لا أن تكون مكانًا ومركزًا لعرض الأزياء، والعشق والفسق والغرام . كما طالب أن تكون المؤسسة الدينية على قدر رسالتها في إبراز الحق والفضيلة، وأن يكون

الوطن حاضرًا في وعينا وعقولنا ووجداننا وضميرنا.. الخ، وأن يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأن يحاسب المفسد ويعاقب ويثاب المصلح والمجتهد. ترى هل علّق حسام الجرس، وهل دق فعلاً الجرس؟

هل سيصدق قول الشاعر:

"تمنون علينا أن حفوا شواربكم - يا أمّة ضحكت من جهلها الأمم"

أم قول الشاعر:

"ناموا ولا تستيقظوا - فما فاز إلا النُّوم"

سامي الجندي:

أرى أن هذا الكتاب قيم جدًّا، تجب دراسته ضمن حلقات وجلسات للمجموعات لكي تعم الفائدة الأكبر بالنقاش والجدل والمداخلات.

للأسف لم أجد في مكتبات القدس أو رام الله كتاب "قواعد المسلكية الثورية الملتزمة" مع أن مكتبات الأسر داخل السجون لا يخلو أيّ منها من نسخة أو أكثر من هذا الكتاب، الذي تبادر إلى ذهني بعد قراءة كتاب الأخ حسام خضر هنا، حيث يعتبر الكتابان تجانسًا جميلاً ونوعًا بقيمتهما الملتزمة في بناء الإنسان المنتمي الواعي لدوره ومكانته وقيمته في عملية التحرير.

لو أراد الأخ حسام خضر إعادة صياغة هذا الكتاب الذي كتبه سنة 2005 قبل اعتقاله الأخير، لكان أضاف ورتب الأفكار بشكل أكثر حكمة.

يعزو الكاتب اهتزاز نفسية الأسير الشامخة خلال فترة التحقيق إلى بعض العوامل كالضغوطات الهائلة جراء التعذيب النفسي والجسدي، وكنتيجة لثقافة أوسلو حيث حَمّلها السبب في أكثر من مكان، مثل (ص17)، والكلام للكاتب "ثقافة أوسلو هدمت هياكلنا الشامخة، وركعت منظومة القيم السامية التي كنا نعتز بها ونفخر، وباختصار أفسدتنا وأفقرتنا ماديًّا واجتماعيًّا". وفي (ص18) قال: "أعزو هذا التسارع بالانهيار إلى تداعيات ثقافة أوسلو". وفي ص26 أضاف: "إن مما ساعد على الاعتراف وبدون حدود هو إركان الثوار في هذه الانتفاضة على أوهام أوسلو". وفي (ص30) أضاف أكثر بكثير مما سبق.

إن هذه العوامل ومع كل ما تعنيه من حقائق سلبية تضر بنفسية المناضل، ومع كون ثقافة أوسلو انتكاسة انحدرت بنمطية الوعي والتفكير لدى مجتمعنا العربي الفلسطيني للدرك الأسفل، إلاّ أن ذلك لا يبرر بأي حال اعتراف المناضل خلال فترة التحقيق، وأعتقد بأن الأخ الكاتب حسام خضر يدرك هذه الحقيقة تمامًا، لأنه استدرك الأسباب المنطقية خلال الصفحات المتأخرة بالكتاب.

إنني أكاد أكون جازمًا (100٪) بأن السبب الحقيقي للانهيار يكمن في ضعف الحصانة المعلوماتية لدى الأسير، وضعف إعداده من قبل الرتب الأعلى منه، فالمناضل المتسلح بالمعرفة والإيمان سيعرف كيف يدير الوقت، وكيف يقيّم كل معلومة تضع أمامه من قبل المحقق، بل وسيسخر من محققيه بتلذذ غريب عجيب، وللتدليل على ذلك أضرب مثالاً للإشارة لا للحصر وهو: مجموعتان خاضتا التحقيق أمام نفس فريق المحققين وبنفس الفترة والظروف، المجموعة الأولى أعمار أعضائها مطلع العشرينيات، وتلقى أفرادها تحصينا وطنيًا وروحيًّا عقديًّا، وتشربوا قصصًا وأساليب من تجارب الأسرى قبلهم. أمّا المجموعة الثانية فمعدل أعمار أفرادها 18 سنة، وتلقوا تدريبًا عسكريًّا لبضعة أيام فقط، ولم يتعلموا أيّ شيء حول ما يدور في أقبية ومسالخ التحقيق. المجموعة الأولى صمدت وخرجت بأقل ما يمكن من الخسائر ورافعة الرأس، بينما المجموعة الثانية كانت فريسة سهلة على مائدة الجزار.

إن الإيمان ليس مجرد كلمة عابرة تُلاك في المحافل الثورية أو المواعظ الاستعراضية، بل إن الإيمان قيمة روحية تتشربها خلايا النفس البشرية، فتتغلغل عميقًا إلى نقطة لا يمكن لمحقق مهما امتلك من وسائل وجبروت الوصول إليها، وسيكون الوصول أكثر استحالة في حالة دعم الإيمان بالوعي الثقافي الوطني والثوري، وبزخم من حصيلة التجارب المتراكمة

عند الحركة الوطنية الأسيرة حول فترة التحقيق، وحول كيفية توقع خطوة المحقق التالية، سنجد الأسير حينها يسبق كل فريق التحقيق بخطوات، لأنه اختار هذا الدرب طواعية كواجب، بالتالي فإن المناضل لن يكون فريسة حتى لو تم بتر أصابعه وأطرافه ببطء مميت، بل سيهزأ من جلاده، وسيتحلى بنشوة النصر والفوز على جنرالات العدو.

إن الشحن العاطفي غير المدعم بمنطق المعلومات المبنية على تجارب الآخرين، وعلى أساس الإعداد بالمعرفة المسبقة مآله الانهيار حتمًا، واللوم هنا لا يكون على الضحية (المناضل)، بل على من أرسله دون إعداد، أيّها الأخ الكاتب حسام، لكن سيكون اللوم على المناضل إن هو لم يصمد بعد أن تم إعداده بشكل سليم، فلا يعقل أن نقوم بقذف الشخص الذي لا يجيد العوم إلى عمق اليمّ لكي ينقذ سمكة من باطن الحوت، بل نعلمه كيف يشق جبال الموج قبل أن يشق باطن الحوت.

وقد استدرك كاتبنا في الصفحة (32) لأهمية تسليح أجيالنا المناضلة المنتمية، وغير المنتمية، فكانت مادة الصفحة دسمة بفكرتها، وكذا كانت بعض أفكار ما تبعها من صفحات، حتى أن الكاتب أبدع بشكل يثير الاحترام والتقدير حين قال في الصفحة (34) عن صفات المناضل الواعي لدوره: "بأن لا يقبل رموز 10 سنوات من النهب والهدم

والامتهان والفشل والفساد والخيانة"، وبأن الولاء لا يجب أن يكون إلاّ للشعب والوطن، وليس للقائد أو الرمز.. طبعًا بعد الولاء لله عز وجل.

وقد دعم الكاتب قوله بحكمة عربية استبدل كلمة وحرفًا منها بكلمة واحدة حين قال: "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت خطيئة".

ثم إنني أرى أن رسم شخص الكاتب على صفحة الغلاف الأخير من الداخل وهو يقرع ناقوس الخطر، ومن خلفه جموع جماهيرية تتطلع إلى مكانه، وتتأمل البعيد بشوق، أنه رسم موفق وواع وملامح الطيبة على وجه حسام لا تخلو من الثبات والإصرار.

موسى أبو دويح:

كتب النائب الأسير حسام خضر كتابه "الاعتقال والمعتقلون بين الاعتراف والصمود"، مبينًا فيه واقعًا عاشه ويعيشه في سجون الاحتلال المتعددة، والتي تنقل فيها جبرًا، وعاش في زنازينها المختلفة، وتعاقب عليه كثير من محققي المخابرات في كثير من مراكز التحقيق المنتشرة في طول وعرض أرض فلسطين.

يحاول حسام في كتابه الاعتقال والمعتقلون، والذي قدم له زميله في الأسر والنضال منسق اللجنة الشعبية للتضامن مع النائب حسام خضر والأسرى الفلسطينيين السيد تيسير نصر الله. يحاول حسام أن يضرب

على وتر قضية مهمة غاية الأهمية، بل هي أهم قضية من قضايا الاعتقال السياسي، وهي ثبات المعتقل وصموده أمام المحققين، وعدم إدلائه بأي معلومات مهما كانت في نظره عديمة الفائدة، أو فاقدة الأهمية أو عفا عليها الزمن، ومات أصحابها أو أبطالها منذ أمد بعيد.

وهذا أمر يعرفه كل سياسي جرب الاعتقال، فبمجرد أن ينزلق المعتقل ويتجاوب مع المحققين، ولو أعطوه قلمًا وورقًا وقالوا له: اكتب ما تشاء، فبمجرد موافقته على ذلك يكون قد بدأ في السقوط وانتصر عليه المحققون، كالجدار تنزع من أسفله حجرًا، فما أسهل أن ينهار الجدار كاملا!

فحري بكل معتقل أن يعرف قضيته، وأن يحصر البحث والنقاش والتحقيق فيها، وأن لا يحيد عنها، وهذا من شأنه أن يجعل المعتقل كبيرًا في أعين المحققين، وبذلك يزداد قوة وجرأة، وينتزع من روعه الخوف والرهبة من المخابرات وتعذيبها.

ولقد أجاد الكاتب في عنوان الكتاب "الاعتقال والمعتقلون بين الاعتراف والصمود"، حيث قارن بين اعتراف المعتقل القاتل، وبين صموده القاهر، فقال عن الاعتراف في الصفحة الخامسة: "هز القناعات لإحداث الانهيار المدمر بالاعتراف أولاً، والانسلاخ عن العمل الوطني الثوري ثانيًا، واختيار النفسية تجاه التعامل، وبالتالي الخيانة والتعاون

معهم كمساومة ومقايضة على الحرية بدل السجن ثالثا". وقال عن الصمود في الصفحة الثالثة عشرة: "ويلعب الإيمان والذي هو هنا ماء الإرادة ودمها الساري وشحنتها، الدور الرئيس في خلق مناخات الصمود لتروي تربة الصبر، فلا يكون عندها سوى النصر حليف الأسير".

أمّا وصف الكاتب لـ"غرف العصافير" أو ما يسمى بغرف العار والاعتراف حيث قال عن عصافيرها: "يمثلون دورًا هوليوديًّا ناجحًا، يصلون جماعة ويأكلون جماعة وينامون ويقومون ويتهامسون ويتدارسون، بما يعيد الصورة المشرقة للسجون المتهالكة المتراجعة الآن، في واقعها التنظيمي الشريف.. إنها خدعة يتعاون عليها رجال المخابرات والشرطة والخونة والأنذال."

حاول الكاتب في كل ما كتب أن يشد من أزر المعتقلين، وأن يقوي العزيمة عندهم، وأن يجعلهم رجالاً صامدين أمام المحققين. اسمعه يقول: "وهل هناك أحلى وألذ من طعم الصمود؟ وهل هناك بالمقابل أمرّ وأخزى من طعم الهزيمة؟"

أمّا لغة الكاتب في كتابه فهي لغة فصيحة سليمة قوية، جزلة الألفاظ، وظهرت في كتابته المفاهيم الإسلامية كالعقيدة والإيمان، وقصة يوسف وسجنه، وقصة هابيل وقتله لأخيه، وأصحاب الأخدود، والرسل

والأنبياء والصحابة. يقول في الصفحة 23: "صمود نابع عن إيمان، وإيمان راسخ كالعقيدة في صدر المؤمن، قلب نابض بالعزة لا يعرف الخوف".

وختامًا.. كتاب حسام خضر كتاب يستحق القراءة، ويحتاج إلى شرح وتفصيل حتى يكون في متناول الجميع وحتى تعم الفائدة، وحتى يكون منارة لكل السياسيين والمعتقلين على وجه الخصوص.

محمد صبيح:

لقد أسمعت.. ولكن..

الكتابة التي تعتمد على ذاكرة خاصة، هي كتابة من نوع خاص يمتزج فيها الزمان والمكان، وتتداعى عليها إرهاصات وجدانية، تكون اللحظة سيدة الموقف، والثانية تتمدد لتصبح عالمًا واسعًا، فيها الومضة مفصلية بين أن تكون أو لا تكون. وفي الجزء من الثانية أنت طرف أصيل ومكون أساسي لمعادلة معقدة، يتصارع فيها الحبّ والحقد، الهزيمة والانتصار، الرجولة والنذالة، الصمود والاعتراف، الصبر والتحمل، الانهيار والصمود.

تلكم كلمات ما بين سطور كراسة أصدرها الأسير حسام خضر عن تجربته الاعتقالية التي حملت عنوان "المعتقل بين الصمود والاعتراف"،

وظف فيها مقدرة كتابية عالية المستوى، فيها موهبة عالية من الخطابة واللغة والسرد والأسلوب والتجانس والمرادفات و...الخ.

تناول الموضوع بلهجة الوجع والفخر، والوجع من امتهان الإنسان وسلب إرادته وحريته وكرامته وإنسانيته، والفخر في مكوناته واستغلالها أفضل استغلال في مواجهة هذه الأساليب الوحشية في التعامل مع المعتقل خصوصًا في فترة التحقيق.

الكاتب كان يمرّ مرّ الكرام على الأقبية والزنازين وأدوات التعذيب، على اعتبار أن الكل مرّ في هذه التجربة عملًا أو سمعيًّا، كونه لا يخلو بيت فلسطيني من هذه التجربة بشكل أو بآخر.

وركز إلى حد ما على العامل النفسي والزمني، وأخضعها إلى شرح مفصل وفهم نابع من وعي وإدراك ناضجين.

طرح الكاتب أكثر من مسألة محورية، وحسم رأيه فيها مثل هل الاعتراف خيانة أم هزيمة؟ وثقافة أوسلو التي أوصلتنا إلى هذا الوضع غير المسبوق في التسابق على الاعتراف والإدلاء بمعلومات لضباط الأمن الإسرائيلي.

هنا أود أن أتوقف وأسأل: هل المعتقل ضحية نتاج هذا "الأوسلو" أم أنه وقود لمرحلة يجب أن تغربل من الشرفاء والمناضلين الحقيقيين؟

الكراسة التي أقرب ما تكون إلى ورقة عمل يجب أن تخضع لنقاش مطول ومستفيض، واستخلاص العبر والنتائج، وتعميمها بل اعتمادها في المدارس كي تكون الأجيال القادمة قادرة على حماية نفسها من هذا الغول الذي يتربص بها، مجرد أن ينخرطوا في الحياة العملية.

لعل الفكرة من الكراس ينطبق عليها تسمية (السهل الممتنع)، فالكل يعرف، والكل يدرك، والكل... والكل... لكن...

لم يبادر أحد، وهنا أقصد على المستوى الشعبي العام، وليس التنظيم الضيق، لم يبادر على اعتبار هذه المسألة مسألة وطنية عامة، يجب الانتباه إليها والتحذير من مخاطرها وانعكاساتها الخطيرة على مكونات ونسيج شعبنا في الحرية والاستقلال والتحرر.

تجربة الاعتقال ليست نزهة، والمحقق ليس معزولاً عن منهجية مبرمجة لسياسة مرسومة ومدروسة، وهنا مكمن الخطر.

لمن يعتقد أن المحقق قد يكون صديقًا أو منقذًا أو مساعدًا، خصوصًا عندما يقدم لك سيلاً من المعلومات الدقيقة عن مجريات حياتك وتحركاتك، وهناك المزيد المزيد لا يود ذكره لأنه قد يضرك في المحكمة إذا أنت لم تفصح عنها.

الكراس كان جرسًا معلقًا وسط الساحات العامة، فمن هذا الذي يأتي ويقرعه ليسمع من لم يسمع أو لمن نسي أو تناسى؟

أم نحن على رأي الكاتب نتاج لثقافة أوسلو، وينطبق علينا قول الشاعر الجاهلي"

"لقد أسمعت لو ناديت حيًّا – ولكن لا حياة لمن تنادي"

محمد خليل عليان:

وأخيرًا وجدت ما يستحق القراءة وثيقة النائب حسام خضر "الاعتقال والمعتقلون بين الاعتراف والصمود"

لو خلت مكتبتي من كل الكتب والأبحاث والروايات والمجموعات القصصية والشعرية والنقد والسياسة إلا من هذا الكتيب الصغير، لاكتفيت بذلك دون شعور بالحزن أو الخسارة.

لا أدري لماذا انتابني الفرح وأنا أطالع هذا الكتيب، ربما لأنه أعادني إلى أيام نفتقد اليوم إلى مذاقها الخاص، وربما لأنني وجدت أخيرًا من يقرع الجرس بجرأة غير مسبوقة، وبوعي عميق وبالتزام متين، وربما لأن الكاتب هنا، وبأسلوبه المميز الذي لا يخلو من الصور الأدبية والمفاهيم الفلسفية، يضع أصبعه على الجرح، ولا يكتفي بذلك، بل يصف لنا الدواء، وأيّ دواء، وربما لأنني اكتشفت أن أوسلو لم تقض بعد على الحلم، وربما لكل ذلك معًا. أعترف أن الكاتب أعادني سنوات طويلة إلى الوراء، عندما كان للصمود في وجه المحققين قيمة، وعندما كانت

البطولة صبر ساعة، وعندما كانت حرب الأدمغة بين الأسير والجلاد في أوجها، ينتصر فيها الأسير المسلح بالإرادة والإيمان، وباختصار عندما كان لنا قضية .

لقد تحدث الزملاء قبلي عن مضمون الكتيب، وأكدوا على أهميته في هذه المرحلة، وحللوا وبعمق الرسائل التي نجح الكاتب في إيصالها إلى القارئ الفلسطيني. لا أريد أن أكرر ما قيل، ولا أجد أصلاً ما يمكن أن أضيفه إلى هذه المداخلات، ولكنني أردت أن أضيف بعدًا آخر لهذه الوثيقة الوطنية النادرة، وهو انتصار الكاتب على المحققين في حرب الأدمغة التي أشرت إليها سابقًا.

لقد كتبت هذه الوثيقة من داخل الزنزانة وفي ظروف لا يدرك قسوتها إلا من عايشها، وخاض التجربة بتفاصيلها. هو لا يجلس في مكتب وثير، تطل نوافذه على مشهد خلاب، إنه في زنزانة ضيقة تنبعث منها رائحة الرطوبة، وهواؤها فاسد، وأبوابها محكمة الإغلاق، كونها لا تتسع لحجم حمامة. هو يجلس متربعًا على الأرض، يمسك بوريقة وقلم صغير ويكتب لنا مستعينًا بضوء خافت لا أدري من أين يأتيه؛ أهو من الكوة الصغيرة أم من الفتحات الضيقة للباب الفولاذي؟

يكتب لنا عن خطيئة الاعتراف أمام المحققين، وعن الهزيمة في حرب الأدمغة هذه، وعن ثقافة أوسلو، وعن العصافير، وعن السرية في العمل

الوطني، وعن انعدام القيم التنظيمية، وعن أشياء كثيرة نسكت عنها، لأننا لا نمتلك الجرأة، أو لأنها أصبحت من المسلمات. يكتب عنا ولنا ويقول للجلاد: أنا لم أنتصر عليك وحسب، بل ها أنا أنقل الرسالة وأنا مقيد في غياهب زنزانتك، أنت تحبس جسدي، ولكن فكري وروحي طليقان. صادقة هي الكلمات التي تكتب في مثل هذه الظروف، نبيلة هي الرسالة التي ينقلها المناضل لأبناء شعبه وهو مكبل اليدين، وعميقة هي الدروس التي تنقل إلينا من أرض المعركة، وجميلة هي الكلمات التي تنبعث من القلب إلى القلب، منتصرة هي الروح التي تنطلق من الزنزانة عبر الكوة إلى فضاء الوطن لتلامس شفاف القلوب.

كم أشعر الآن بالسعادة والفرح! لقد وجدت أخيرًا ما يستحق القراءة.. لقد وجدت أخيرًا ما يستحق القراءة.

سمير الجندي:

قدم لدراسة حسام خضر هذه زميله في الأسر تيسير نصر الله- منسق اللجنة الشعبية- واصفًا محاولة حسام خضر هذه بأنها تمثل واقعًا حيًّا لتجربة الأسرى في المعتقلات، وخصوصًا تجربة التحقيق، وأهمية تسليط الضوء على قضية أرّقت المجتمع الفلسطيني، معتبرًا إيّاها ظاهرة وليست حالة عابرة، ألا وهي ظاهرة "الاعتراف" التي يحاول حسام خضر

وضعها أمامنا دون مبالغة، أو تهويل، بل بموضوعية وشفافية، مؤكدًا على أنها وصلت إلى حدِّ الخطورة التي لا يمكن المرور عنها مرّ الكرام، فوضع لنا النائب خضر بعضًا من مسببات هذه الظاهرة، وأحيانًا كان يضع لنا الحلول والتفسيرات أيضًا.

ولأن كتابة هذا الكتيب، أو هذه الدراسة بعد اتفاقيات أوسلو، فإن كاتبنا حمّل بما لا مجال للشك، هذه الاتفاقات جزءًا كبيرًا من المسؤولية، وعدَّ ما جلبته هذه الاتفاقات على شعبنا من أوهام ومصائب وكوارث وويلات.

لقد وضع حسام خضر نفسه أنموذجًا حيًّا في القدرة على الصمود والتحدي أمام الجلاد، فقد صمد نفسيًّا وجسديًّا ومعنويًّا. هذه الدراسة العميقة والموضوعية، تمثل قفزة نوعية في إعداد المناضلين الإعداد اللازم لمواجهة المحققين، وتعرف المناضلين إلى أساليب التحقيق، وبكيفية اعتماد المحققين على مناهج التعذيب المختلفة، وخصوصًا المنهج النفسي في تعذيب الأسير، الذي يستعمله المحققون أكثر من التعذيب الجسدي، كما أن من شأن هذه الدراسة التعزيز الأكيد لصمود الأسرى في غرف التحقيق، ففيها شحذ للهمم، وحث على تنمية العزيمة، واستحضار للإرادة القوية، فبالإرادة والعزيمة والهمة والشموخ يستطيع الأسير بكل تأكيد أن ينتصر على الجلاد في غرف التحقيق الرطبة الكئيبة.

لقد أوضح كاتبنا أهمية الإرادة ووجوب أن يتحلى بها كل أسير، فهي السلاح الأوحد الذي عليه استخدامه من لحظة دخوله المعتقل. إنه في غرفة التحقيق يمثل أحد قطبي المعادلة، فهو (أي الأسير) يمثل الشعب الفلسطيني وقضيته، أمام المحقق الذي يمثل بدوره طرف القطب الآخر من المعادلة وهو العدو.

وهنا إمّا أن يكون أسيرنا هو المنتصر، وإمّا يكون عدونا هو المنتصر، فإذا تخلى الأسير عن سلاح الإرادة القوية، وتجرد منه، فلا مبرر لذلك على الإطلاق، وهو يكون قد اختار لبس ذيول الهزيمة والعار، وسوف يلاحقه الذل أينما ذهب وكيف دار، وسوف تصاحبه هذه الوصمة مدى الحياة، فهو الذي وضع نفسه طواعية في بوتقة سوداء باردة لا حياة فيها، ولن يكون فرحًا يومًا ولا مستقرًّا نفسيًّا، ولا ينال أدنى قسطٍ من الكرامة، وسوف يكون جثة تتحرك لا إراديًّا.

هم يستخدمون كل الأساليب الحديثة والقديمة في التحقيق من أجل تحقيق أهدافهم، فيهددون، ويتوعدون، ويهولون، ويروعون، ويجلسون في دائرة حول الأسير الذي يجلس على كرسي وهو مقيد معصوب العينين في وسط غرفة التحقيق، وهم يتهامسون، ويتغامزون، وينسجون من تاريخ حقدهم كل الحكايات والأكاذيب ويعرضونها على مسامع الأسير، وكأنها حقائق لا يمكن تكذيبها، فأنت أيها الأسير إذا لم تكن أسلحتك

مشحوذة وإيمانك بعدالة قضيتك راسخا، فمن المؤكد أنك ستنهار وتعترف، فتكون إرادتك قد سلبت منك إلى الأبد.

استخدم الكاتب ضمير المخاطب في دراسته هذه، كأنّي به يريد إرشاد ووعظ الأسير الفلسطيني، فهو يريده واعيًا يحمل في قلبه وعقله فكرة راسخة لا يمكن أن تهتز، ألا وهي عدم الاعتراف مهما كان الثمن.

إن الأسير غير الواعي يجد نفسه أمام محقق مؤهل ومسلح بأعلى درجات التأهيل والإعداد، وعند أول مواجهة في غرفة التحقيق، فالأسير الجاهل يُصدم من اللحظة الأولى، من المفاجأة، فهو خالي الوفاض، وذاك متمترس بساتر عريض من المعرفة والدراية بأدق التفاصيل النفسية والمعنوية عن الأسير الذي يقف أمامه مصدومًا، وهنا فإن المسؤولية بعدم تأهيل وتدريب الأسير على مواجهة أمر التحقيق، هي مسؤولية الذي نظم هذا الأسير، ولم يعمل على تأهيله وإعداده قبل دمجه في صفوف الثورة، كما إنها مسؤولية الأسير نفسه الذي لم يسع للمعرفة والتدريب، ولذلك فإن نتيجة هذا الصراع بين قطبي المعادلة تكون واضحة المعالم، إلا في حالات شاذة.

إننا لا نتعلم من أخطائنا، ولا نستفيد من تجاربنا، وقد شخصنا أسباب السقوط في غرف التحقيق، فأسرانا غالبًا لا تكون لديهم الدراية، والتربية الثورية والاجتماعية والسياسية، والنفسية والوطنية، فهم يجهلون

حتى المعلومات الأساس عن فلسطين تاريخها وجغرافيتها، وتضاريسها، فكيف لهم أن يدافعوا عن شيء لا يعرفونه؟

إن المناضلين جزء من هذا المجتمع، ومجتمعنا الفلسطيني يعاني من خلل كبير في أساليب التربية الاجتماعية، فالتربية الخاطئة تنتج مجتمعًا فيه أمراض سلوكية غير مقبولة، وتنشأ فيه أزمة أخلاقية شديدة، وأنا أتحدث هنا عن قيم الإيثار التي تكاد تكون مفقودة في مجتمعنا، بل العكس هو الذي يسود وينتشر، وهي الأنانية الضيقة، فنجد صاحب المنصب يستأثر بمنصبه، والقائد يستغل موقعه القيادي لنفسه، والموظف يؤثر نفسه عن غيره، وكذلك الأسير الجاهل يؤثر نفسه أيضًا، فيكون سقوطه أسرع من غيره، إذ إن المحقق يدرك تلك النفسية الأنانية عند الأسير، فيبدأ بالتحدث معه عن أهمية المصالح الشخصية، وأن بإمكانه إنقاذ نفسه بـ"الاعتراف"، فيقول له بعض الأمثال الشعبية التي يوظفها توظيفًا ناجحًا مع مثل هذا الأسير حين يقول له: "مائة عين تبكي ولا عين أمّي تبكي"، أو "كف ما بناطح مخرز"، وغيرها من الأمثال الشعبية السلبية، فنعود لنكرر بأن عدم إعداد الشباب إعدادًا سليمًا وقويًّا قبل دمجهم في صفوف الثورة هو بمثابة إرسالهم إلى حتفهم.

أما أوسلو وما تبعها من تداعيات مدمرة على نفسية الثوار والمناضلين والجماهير في الوقت نفسه فحدث ولا حرج، إذ يقول الكاتب في

(ص17): "ثقافة أوسلو هدمت هياكلنا الشامخة،وركَّعت منظومة القيم السامية التي كنا نعتز بها".

فمن آثارها:

1- حالة اللامبالاة.

2- غياب التراكمات التي اعترت تجربة العمل الثوري.

3- عدم الاستفادة من المآثر البطولية لأنها لم تسجل، وكانت مرتجلة.

4- ضاعت آمال أبناء شعبنا بشدة حين رأى بأم عينيه ولمس لُمَس اليد المباشرة حقيقة أن الاستيطان قد توسع في عهد أوسلو.

5- إن حياة هذا الشعب الرازح تحت قيود الاحتلال قد ازدادت شقاء وبؤسًا في زمن اتفاق أوسلو ووعد السلام المؤجَّل، وإن توقعاته بحلول عهد من الرخاء والازدهار قد تقوضت بقسوة على مداخل المعابر الحدودية، والحواجز العسكرية، وغير ذلك الكثير من سياسات القمع والقهر المنهجية.

إن أوسلو ما هي إلا خديعة سياسية كبرى وخطأ تاريخي لا يغتفر.

يُعد الكاتب الصمود كما نُعده نحن جميعًا، لذة لا تعادلها لذة، فهي قيمة تعادل العمر، فيها العزة والشموخ، والصمود تجسيد مادي لأثر الإرادة وهو احتكام لسلطان العقل، واستجابة لنداء الواجب، فالصمود النابع من الإيمان الراسخ لا يعرف الخوف، فهو يحمل قناعات وفِكر

وثقافة تغذي الإيمان، وتجعل حياته مثمرة تفيض عظمة وشموخًا، فالإيمان بعدالة قضيتنا الفلسطينية، وحقنا المشروع، والإيمان بحتمية النصر، هو ما يجب أن يتحلى به المناضل، يدافع عن حقه، فإطالة مدة الاعتقال أو تقصيرها هو أمر بيد الأسير نفسه، فإذا اعترف، يكون قد حكم على نفسه بالمكوث في غياهب الجب سنوات طويلة، وإذا صمد وقهر جلاده وهزمه، فلن يطول بقاؤه في الأسر.

هنا أشير إلى نقاش ما قد جرى بين أسيرين محررين، الأول قضى في الأسر عشرين سنة بالتمام والكمال، والثاني قضى في الأسر سنة واحدة، يقول الأول لزميله:

"شو اللي انحبسته انت؟ كلها سنة واحدة، أنا بأقضيها على جانب واحد".

أجابه الثاني: نعم، أنا قضيت سنة واحدة في الأسر، وقضيت التسع عشر سنة التي بيني وبينك خارج الأسر أنعم بالحرية، أو تدري لماذا؟ لأنني صمدت وهزمت جلادي.

فتغير وجه الأسير الأول.

أتساءل: لماذا يُكافأ الذين "يعترفون" بالمناصب والرتب التنظيمية؟

لماذا يكون القياس على سنوات الاعتقال، وليس على مضمون العمل الثوري نفسه؟

لماذا لا تتم دراسة حالات اعتقال الأسرى موضوعيًّا؟ للتعلم من تجاربنا، وتسجيلها ليكون لدينا إرث ثقافي خاص.

لماذا لا نسجل تراثنا النضالي بعيدًا عن المغالاة والإدعاء والتهويل؟

ختامًا، فإنني أؤكد على ضرورة استكمال ما بدأه الأخ حسام خضر في عمل وإعداد الدراسات الموضوعية حول الأسر والأسرى، لنعزز القيم النبيلة، وقيمة الإيثار في نفوس أجيالنا الثورية، ليكون الرجل المناسب في المكان المناسب، وهي صرخة من عمق ضميرنا لكل من هو في موقعه: آن الأوان لننهض من سباتنا الشتوي لنعطي الوطن حقه، فالساكت عن الحق شيطان أخرس.

خليل أبو خديجة:

بداية روائية رائعة، لواقع مؤلم، لغة ومصطلحات سامية، تعبر عن حضيض نفسية الخائن أو المعترف أو المهزوم، تلك الهزيمة التي رسمها قلم الكاتب، جعلت من المعتقل والتحقيق معركة بقاء ووجود، تختزل الحرب المعلنة منذ العام 1948، المعتقل في هذه اللوحة فلسطين، والمحقق احتلال، وبينهما تدور معركة تحدد المبادئ المتفوقة العليا، فإمّا أن يصمد المعتقل وينجح بإيصال رسالة للمحقق ومن هم وراءه، مفادها أن ما يحمله من مبادئ وقناعة جزء لا ينفصل عنه، وإمّا أن ينتصر المحقق،

ويوصل للمعتقل بكافة الطرق والأساليب رسالة الذلّ والهوان، وأن خيار الاحتلال هو كل ما تبقى له. فالعقيدة ليست فقط ما تؤمن به، بل هي ما تستطيع أيضًا أن تدافع عنه.

تحدث الكاتب في مؤلفه عن قطاع الأسرى في المجتمع الفلسطيني، ذلك القطاع الذي يضم (80٪) من أفراد المجتمع الفلسطيني خلال سنوات الاحتلال الإسرائيلي، فيصفه ويصف مكامن ضعفه، ونقاط قوته وصموده.

وتحدث الكاتب أيضا عن "ثقافة أوسلو" التي أراد أن يخبرنا عبرها أن مثقف أوسلو أميّ سياسة، وأن نتائج هذه الثقافة كانت وما زالت "إفرازات"، مصطلح يعكس النتائج البغيضة المقززة لكل ما أخرجته.

تخلو المكتبة الفلسطينية اليوم من مؤلفات تحمل توجه الكاتب، وأيديولوجية تعلقه بالتغيير، وإيمانه بزرع الوعي والعلم لحصاد النجاح، بل إن البعض من الكتّاب يرى أنه لا يحق للكاتب أن يوجّه وأن يحاول تغيير فكره لدى القارئ، ويعتبره من الأخطاء الأدبيّة الفنيّة، فيما أراه واجبًا وطنيًّا يجب تطويره وتنميته.

مؤلفات، كفلسفة المواجهة وراء القضبان، تلك المؤلفات الممنوعة، والتي صودرت وتصادر فور طباعتها، هي التي تنتشل الفلسطيني من واقعه الأيديولوجي المختل. حلقات التوعية والدراسة في السجون،

كانت من أهم المراحل لأيّ معتقل، وكم سمعنا عن مناضلين دخلوا السجون أمّيين، وخرجوا منها يكتبون لغات عديدة، ويتحدثون بألسنة متنوعة، فأين نحن من ذلك؟

لم يطرح الكاتب هذا التساؤل، وإنما أجاب عليه إجابة صحيحة ومعتبرة، فرصد الواقع التعليمي داخل وخارج السجن، سواء في المدارس، أو حتى الجامعات التي اعتبرها الكاتب "دور عرض للأزياء"، وذلك ما لا يختلف عليه اثنان.

لكن أكثر ما أثار إعجابي وتعجبي في هذا المؤلف، تصنيفه لأبناء الشعب الفلسطيني بين مناضل وعميل، وآخر ما زلنا نبحث له عن موقع، وذلك الآخر هو الأنا والنحن، وأرانا أقرب إلى العمالة منا إلى النضال، وختم الكاتب مؤلفه: " إذا كان الكلام من فضة فالسكوت خطيئة." وهذه حكمة يجب التفكير والأخذ بها.

(القدس 5/ 3/ 2010)